طهمازي وعبد الزهرة زكي في مهرجان للشعر العالمي في فرنسا

(كتاب اليوم) على لافتة فرنسية في شارع باريسي

عبد الرحمن طهمازي

عبد الزهرة زكي

باريس / المدى

بدعوة خاصة، شارك الشاعران عبد الرحمن طهمازي وعبد الزهرة زكي في مهرجان سيت العالمي للشعر في ثقافات البحر المتوسط، الذي جرت أعماله في مدينة سيت الميناء الفرنسي المطل على البحر المتوسط، للفترة من الحادي والعشرين من تموز الماضي وحتى التاسع والعشرين منه.

وقدّم الشاعران في واحدة من الجلسات التي شهدتها أعمال المهرجان تصورين عن الشعر وتجربتهما فيه وعن العمق التاريخي والحضاري والحياة الثقافية والاجتماعية في العراق، وأجابا على أسئلة الحضور الذين تابعوا باهتمام شديد آراء وتصورات الشاعرين.

ويقدم مهرجان سيت عادةً جلسات شعرية وحوارية وأخرى موسيقية وفنية في الهواء الطلق بشوارع المدينة وحدائقها وسواحلها وفي قاعات مغلقة وسط متابعة كثيفة من الجمهور الفرنسي ومن السائحين الذين عادةً ما تزدحم بهم المدينة في مثل هذا الموسم.

وكان من أبرز الفعاليات التي شهدتها دورة مهرجان سيت هذا العام، القراءات الشعرية التي قدمها الشاعر عبد الزهرة زكي على متن مركب في عرض البحر المتوسط مقابل المدينة الفرنسية التي شهدت ولادة شاعر فرنسا الكبير بول فاليري الذي كان قد كتب فيها قصيدته الأشهر (المقبرة البحرية)..

وقرأ عبد الزهرة زكي في هذه الجلسة التي استغرقت أكثر من ساعتين وبحضور جمهور من محبات ومحبي الشعر الفرنسيين الذين حضروا الفعالية مقابل أجر، عددا من القصائد التي أثارت بأصلها العربي وبترجمتها الفرنسية اهتماماً كبيراً أملت على قائد المركب أن يمد الرحلة ساعة إضافية، حيث تخلل اللقاء حوار ثقافي جاد وحيوي بين الشاعر والجمهور باللغة الإنكليزية عن الشعر والثقافة في البلدين: العراق وسوريا، وشاركت في اللقاء ممثلة فرنسية قدمت الترجمة الفرنسية لقصائد عبد الزهرة زكي.

وكانت إدارة المهرجان قد تكفلت بترجمة وطبع ثلاثين قصيدة للشاعر وتوزيعها على الجمهور قبل قراءتها، إضافة إلى إصدار كتاب انتولوجيا بالشعراء المشاركين تضمن قصيدة لكل شاعر بلغتها الأم وبترجمة فرنسية لها.. وهو تقليد دأب عليه المهرجان لتتاح للجمهور فرص اختيار شعرائه وجلساتهم.

فيما كانت الجلسة الشعرية المكرسة للشاعر عبد الرحمن طهمازي والتي أقيمت على ساحل في ميناء المدينة بمرافقة مغن وموسيقي فرنسي، متميزة أيضا بحضورها الذي تابع شعر طهمازي بحرص وتفاعل حيث قدم ممثل فرنسي قراءة للنسخة الفرنسية من نصوص الشاعر.

وإلى هاتين الجلستين قدم الشاعران كلاً على انفراد ومع شعراء من فرنسا وايطاليا واليونان ومالطة وبلغاريا وتركيا ومن بلدان عربية مختلفة جلسات شعرية تركت أثراً بالغاً.

حضور الشاعرين طهمازي وزكي كان محوريا وحيويا في المهرجان سواء من خلال مشاركاتهما الشعرية أو من خلال الجلسات الجانبية التي ناقشت طبيعة الحياة والثقافة في العراق ما بعد ٢٠٠٣، وما ينتظر البلدان العربية من تطورات في ظل التحولات والتغيرات الجارية.

وكانت الدورات السابقة من المهرجان قد شهدت مشاركات لشعراء عراقيين مقيمين في خارج البلد كان من بينهم الشاعران جليل حيدر وصلاح فايق والشاعر الراحل سركون بولص..حيث يحظى الشعر العراقي ومشاركات شعراء العراق باهتمام استثنائي سواء من الجمهور الفرنسي أو من الجمهور العربي المقيم في فرنسا.

البرج العاجي

فوزي كريم

من الجزائر

كنتُ في الجزائر العاصمة لأول مرة. بدت من الطائرة كجناحي حمامة بيضاء، مشرعين على البحر المتوسط. تحتفي بعيد استقلالها الخمسين، وتعقد باسمه لقاءً ثقافياً بعنوانٍ "روح فرانس فانون". لأن "فانون" صاحب كتاب "معذبو الأرض" كان جزءاً حياً من كفاحها الدامي والطويل ضد الإستعمار الاستيطاني الفرنسي. ندوات تتواصل لأيام عشر، كانت حصتي منها أياماً سبعة، طرية العود بفعل الجدة المفاجئة لي. كنت أحسب الجزائر كالمغرب العربي أو تونس. بسبب اللهجة ربما، أو الرغبة الكسولة في التعميم. ولكني تبينت أنها ليست كذلك. فهناك ظواهر خُصّت بها وحدها. قد تشترك تاريخياً مع مجمل الشمال الأفريقي في تعرضها للتلاقح: يونان، رومان، عرب، عثمانيون، ثم فرنسيون. ولكنها تنفرد مع هذا الأخير بعلاقة غيرت من سحنتها على امتداد استعماره الاستيطاني منذ ١٨٣٠. ولعل هذا يتواصل حتى اليوم، أو المستقبل.

الاستعمار الفرنسي جعل من أرض الجزائر امتداداً لأرض فرنسا، وحاول أن يفرض على عمارتها العمارة الفرنسية، وعلى لسان أهلها اللغة الفرنسية، وعلى عقولهم توجهاً في التفكير فرنسي الطابع. والجزائري يرتضي شيئاً، ويرفض أشياء، ويتضح هذا صريحاً في حديثه وردود أفعاله.

مشاغل الندوات، وانعدام روح المغامرة لدي، وتضاريس المدينة الواسعة ذات المرتفعات، عطلتني عن اكتشاف الكثير. إلا أني انصرفت إلى الانسان الجزائري، الذي تتنازعه تيارات تاريخية عنيفة: عربية أمازيغية تربكهما ضرورة الهوية، ويوحدهما الاسلام. عربية فرنسية تربكهما الكرامة، وتقاربهما المصلحة. إسلام طبيعي ورحب وآخر متطرف وضيّق. طبع صحراوي منبسط، وآخر جبلي كثير التضاريس. ثوري من أجل الاستقلال المقدس، وآخر من أجل الفكرة المقدسة. ولكن كل هذه التعارضات لا تخلخل انتساب الجزائري إلى جزائريته.

كانت الفرنسية لغة التواصل بين الجميع، داعين ومدعوين من عرب وأجانب. وكنت أنا، الذي لا أُحسن الفرنسية، موضعَ رأفة بينهم. يتبرع واحدٌ كل حين للترجمة بالعربية أو الانكليزية. كنت أحبّ لو تحدث الجميع الجزائرية، لهجة خليط من أمازيغية وعربية وفرنسية، لأن فيها خشونة حسية في الإمالة، ومخارج الحروف، تُذكر بالأرض التضاريسية الصلبة. سامية زناديوكريم شيخ، المشرفان على هارموني الفعاليات باسم دارهما للنشر (آبيك)، كانا الأكثر فاعلية، ومرجعاً لكل تساؤل مُلح مني، حتى في شأن الأسماك في السوق: "ثروة سمكية عالية، ولكن سفن الإسبان تشتري أسماك صيادينا في البحر قبل عودة السفن إلى سواحلنا". ولأني أحب السمك، لا أكل السمك بالضرورة، فمشهده البهي كان غائباً.

لم ألتق أدباء ومفكرين جزائريين، باستثناء الذين شاركوا في المهرجان. ولقد افتقدتُ ذلك بالتأكيد. فمسرات نشاطات ثقافية كهذه معقودة بفرص اللقاء مع من نعرف، أو لا نعرف من الكتاب. ولكن هذه الفرصة بدت لي شاحبة. عرفت في ما بعد أن معظم الأدباء فضلوا مقاطعة الندوات، أسوة بمقاطعة الوكالة المنظمة لها. ولكني أعرف أن مقاطعة النشاط شيء، ومقاطعة مشاركيه شيءٌ آخر تماماً!

زرت "المتحف الوطني للفن الحديث والمعاصر"، ولكن أبهاء المكان الجديد لم تصبح متحفاً بعد. البهو الكبير بطوابقه الثلاثة اقتصر على معرض موسع للفنان المعروف "محجوب بن بلّه". حشد تصعب ملاحقته، بفعل اعتماده التقنية التي تتكرر عبر مئتي عمل فني. حرف عربي يتجرد، ويتفشى ألواناً. وزخرف شرقي، أفريقي يتآخى مع التجريد اللوني الغربي.

في يوم تال زرت بحرصٍ "المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ" طمعاً بالحصول على طبعة جديدة محققة وكاملة لـ "مقدمة" ابن خلدون. ولكن السيد سليمان حاشي (مدير المركز) أطلعني على نشاط في البحث والنشر مدهش. وعلى مكتبة ضخمة تحت خدمة الباحثين المعنيين. المركز تحول، منذ تأسيسه عام ١٩٥٥، مرات عدة بفعل توسع اهتمامه. وهو اليوم، إلى جانب منشوراته من الكتب، يصدر "ليبيكا" (مجلة سنوية)، ومجلة التاريخ، الإنسان، والوثائق.

اقتنيت مع "المقدمة" ٣(أجزاء)، كتاب "السيرة الذاتية" لابن خلدون، مقتطعة من كتابه "العبر". إلى جانب كتب في الموروث الموسيقي الجزائري. وأنا أكتب هذه السطور، أُصغي لغناء "الشيخ رضوان بن صاري" التلمساني (١٩١٤-٢٠٠٢)، من مجموعة تسجيلات صدرت عن المركز:

نيرانْ شاغله في كْناني تلهب لهيبْ
والقلبْ فوقْ الجمَار يطيبْ أطيابْ

من سجلّ الظلم العراقي

هاتف جنابي

١. حُرّاسُ السماء

حارِسُنا يحلمُ بالغيبِ،
يُحصي ما قالَ السلفُ الصالحُ والشرطيّ،
وَجَبَاه السّمسار.
أنتناتُ شاربُهُ
تتشممُ فوقَ الأسطحِ ما يجري،
يدخل بين الأضلاع وتحت الإسْتِ،
المحبسُ لاقطةٌ واللحيةُ موقعُ إنذارْ
يَبْني عدلاً خلف القضبان
حارسُنا جاسوسُ اللهِ على الأرض،
يستقصي أنفاسَ الشارعِ
يربطها بالسّبحةِ والمُفْتي
ينقلها للهِ لكي يُرسلَ جندا مجهولين إلينا
نحن المشبوهين بنيّاتٍ تحريفيةْ
منْ يَعْصمنا يا ربّي،
من غضبِ الآيات الشيطانية؟

٢. هل فات الأوان؟

رجعنا إلى أهلنا حالمين
ولمّا وصلنا رأينا أَمَامَ البيوتِ
علاماتِ شكوى وإخواننا ساخطين
سألنا ولا "أحدا" قالَ أهلا ولا "أحدا"
صاحَ مرحى لهذي الحشود من العائدين
رأينا جنودا وقتلى ونَدْبا ولطماً
يسدّ الطريقَ علينا
لكيْ نشتكي ما جرى أمسِ واليومَ
عندَ عليٍّ:
أيظلمنا مِنْ دُعاتكَ دالُ وصادُ وحاءُ
ونحنُ بنوكَ وأهلُ الضميرِ الذي يستحي أنْ يَئِنَّ،
وأنْ يخلعَ الوجهَ كيْ يرْتضيهِ البغاةُ
ذَوُو الزيفِ من فقهاءِ السلاطين!

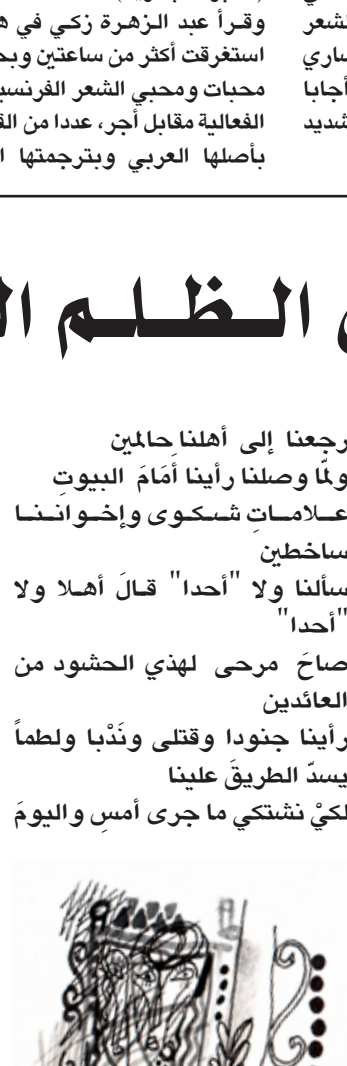

مَضَيْنا إلى نفينا صاغرين
فهلْ دمعُ أعيننا والجبالُ التي قُطِعَتْ والصحارى
مجرّدُ لمعٍ لدى منْ يسوسُ العراقَ ليضحكَ صُبْحا
ويبكي مساءً لدى أهل نعمتهِ منْ أباطرةٍ خادعين

رجعنا، ولمّا وصلنا، وجدنا
أحبّتنا منْ رفاق الزنازين والعشْقِ
قبلَ المنافي
همُ القاتلين!

لماذا نعودُ إذنْ؟
هل نعودُ إلى حتفنا؟
هل نعودُ إلى غلقِ دائرة
بين هجرتنا والدمِ النازفِ الآنَ من جثّةِ الرافدين؟

لماذا رجعنا إلى أهلنا نادمين؟
أجيبي يَمَامةَ روحي،
ويا شفراتِ السيوفِ بصدر الحسين.

× بعد خمسة وثلاثين عاما من التشرد ومقارعة الديكتاتورية يَطلبُ منّا أحفادُها إثباتَ الضررِ السياسي لكي نُعاد إلى الخدمة السابقة.

متابعة

نادي الكتاب يحتفي بالشاعر سفاح عبد الكريم

كربلاء / أمجد علي

في الأمسية التي أقامها نادي الكتاب في كربلاء للشاعر والناقد سفاح عبد الكريم حول الشعر والشعر الشعبي بمناسبة إصداره ثلاث مجاميع شعرية، قال مقدم الأمسية الشاعر عادل الصويري: إن الناقد غالي الخزعلي ذكر في كتابه (أوليات الحداثة في الشعر الشعبي العراقي) إن الكثير من الدعوات ذهبت باتجاه استخدام اللغة العامية أو تقريبها من لغة الشعر تاريخيا، وقد كثرت هذه الدعوات أيام حلول المذهب الرومانسي في الوطن العربي، حيث دعا الشاعر جميل صدقي الزهاوي إلى هذا التقارب في مقال نشر له في مصر عام ١٩١٠، بعنوان لغة الكتابة ووجوب اتحادها باللغة المحكية، كذلك فإن للشاعر جبران خليل جبران تصريحا مهما ومشهورا يقول فيه إن العامية هي مصدر ما ندعوه فصيحاً من الكلام.

بعد ذلك تحدث الشاعر المحتفى به عن أهم الملامح التي ميزت الحقبة السبعينية، فقال إن من أهم خصائصها إنها انتقلت من الحالة الشكلية إلى الشعر الحر الشعبي وقد بدأها الشاعر مظفر النواب وشاكر السماوي وعزيز السماوي وأبو سرحان وغيرهم الكثير، مشيرا إلى إنها حقبة عبرت عن الروح الشفافة للشاعر كما إنها وثقته من خلال اعتماده على الموروث الشعبي بشفافية لذا كانت محاولات جادة لكتابة قصيدة النثر باللهجة المحكية، مضيفا ان "شراع الضمير، وعازف الناي، ويا روحي ليل الحلم" وهي أسماء المجاميع الشعرية، تم إصدار الأولى عام ١٩٧٥ في فترة انتعاش القصيدة على الرغم من إنها كانت مطاردة لاحتوائها على قصائد تحمل مضامين رافضة غير مرخص بها وها أنا أعيد طباعتها اليوم لتكون بوابة للتواصل والمعرفة.

بعدها ألقى الشاعر العديد من القصائد التي تضمنتها المجاميع الشعرية وكانت في أغراض عديدة ومجالات مختلفة وقد نالت استحسان الحضور بعد ذلك فتح مقدم الأمسية باب المداخلات والنقاشات فكان أول المتداخلين الشاعر عودة ضاحي التميمي، والذي أشار إلى إن الشاعر يتمتع بسمات تميزه فهو من الشعراء الذين يكتبون بأظافرهم ويقاتلون في كتاباتهم من اجل قضية يؤمنون بها، وقد ابتعد عن الشعر لفترة طويلة ولم تنشر قصائده، مضيفا ان قصائده كانت راكزة وتقف بصورة واضحة بالضد من النظام السابق، أعقبه القاص جاسم عاصي الذي قال في مداخلته: إن شعر الرواد كان يتميز بقوة البناء لاعتماده بالدرجة الأساس على (الحسجة) فيما شهدت فترة السبعينيات وجود شعراء مثقفين حاولوا إسقاط خصائص شعر الفصيح على القصيدة الشعبية من خلال القدرة على بناء الصورة داخل القصيدة وكذلك محاولة استثمار الرموز الشعبية ومحولة الارتقاء بها إلى منصة الثائرين، وبالتالي هي محاولات لبناء أفكار معينة، وأكد عاصي أن النواب ليس الرائد الأول في هذا المجال بل كان ضمن جيل عزيز السماوي وشاكر السماوي وآخرين، وأشار رفعت المنوفي إلى إن قصائد الشاعر يغلب عليها طابع السرد والرواية ولكن في نفس الوقت أحس إن الشعر موجود في كثير من القصائد وفيه روح التأمل وهو شاعر عمل على جعل روح للكلمة يخاطب بها المتلقي. وتداخل الشاعر موسى الشرع فقال إن شاعرنا كان يكتب عن هموم الآخرين وينسى همه لأنه حمل معاناة الناس وهو يكتب من عمق النهر ولديه مفردات جميلة وشفافة ينتقيها بحرفة ودراية. فيما قال نصير شنشول في مداخلته: إن للشاعر قدرة كبيرة على توظيف المفردة الموغلة بالشعبية والتي تعطي للقصيدة المجال لتجانس المفردات وأعده احد المجددين في الشعر الحديث فهو استطاع أن يقترب من أضلاع التحديث في القصيدة، وأضاف أن الشعر الشعبي بصورة عامة لم يستطع توظيف الأسطورة في القصيدة، والقصيدة الشعبية عموما لم تستطع مجاراة القصيدة الحديثة في جميع خصائصها أعقبه القاص والروائي علي لفتة سعيد الذي قال في مداخلته: إن الشعر شعر مهما تعددت ألوانه وأصنافه، وقد قرأت للشاعر قبل أن التقي به فكانت قصائده مليئة بالدفء والحنان، وتساءل سعيد عن السر في عدم اخذ الشاعر فرصته وفتح المجال للطارئين من الذين لا يمتون للشعر بأية صلة في الظهور والهيمنة على الساحة، وقال هل الشاعر كان بعيدا عن الإعلام أم أن الإعلام هو الذي كان بعيدا عنه؟